

الأسس الكبرى لتماسك الأسرة دراسة ميدانية



بشير يحيى الرشيدى

طالب ماجستير، برنامج الفقه وأصوله، كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

تُعد الأسرة الركيزة الأولى في بناء الحضارات، وهي الحاضنة الطبيعية للقيم الإنسانية، وفي ظل التحولات المعاصرة والمتغيرات الاجتماعية المتسارعة التي أدت إلى ارتفاع نسب التفكك الأسري، تبرز حاجة ملحة لاستعادة "الأسس الكبرى" التي وضعها التشريع الإسلامي لضمان استقرار هذا الكيان. تتمحور فكرة البحث حول استقصاء القواعد الفقهية والقيم الأخلاقية التي تُمثل "صمامات أمان" للأسرة، وتقسيماها إلى مرحلتين زمنيتين:

مرحلة التأسيس والبناء (ما قبل الزواج)، ومرحلة الاستمرارية والاستدامة (ما بعد الزواج).

ويسعى البحث إلى الربط بين التنظير الفقهي والواقع الميداني، مستنذاً إلى لغة الأرقام لقياس مدى فاعلية هذه الأسس في مواجهة تحديات العصر كالانفصال العاطفي والضغط المادية، مع التركيز على المفهوم القرآني المحوري "السكينة" كقاعدة صلبة للاستقرار.





إشكالية البحث

ينطلق البحث من إشكالية التحديات المعاصرة (الاجتماعية والاقتصادية) التي باتت تُهدد كيان الأسرة، مما يستدعي الإجابة عن التساؤل الرئيس: ما هي الأسس الكبرى التي يُمكن أن تعزز تماسك الأسرة من منظور الفقه الإسلامي، وكيف يراها المجتمع اليوم؟ ويهدف البحث إلى تأصيل هذه الأسس شرعياً، وتحليل واقع التزام المجتمع بها عبر دراسة ميدانية تربط بين النص الفقهي والواقع المعاش، وصولاً إلى وضع توصيات تُساهم في خفض معدلات الطلاق والنزاع.

المنهجية البحثية

اعتمد الباحث منهجية علمية مزدوجة لضمان شمولية الطرح ودقة النتائج:

1. المنهج الاستقرائي التحليلي: من خلال تتبع النصوص الشرعية في مصادرها من القرآن الكريم والسنة النبوية، واستقراء أقوال الفقهاء والمفسرين، وتحليل الدراسات الاجتماعية الحديثة وربط مؤشرات الرقمية بالمقاصد الشرعية.
2. المنهج الوصفي التحليلي (الدراسة الميدانية): عبر تصميم استبيان إلكتروني استهدف عينة عشوائية (30 مشاركاً، بنسبة زواج 96%)، لوصف اتجاهات المجتمع وتحليل مدى وعيهم بالأسس الفقهية وترتيب أولوياتهم في تحقيق التماسك الأسري.

يتناول البحث ثلاثة مطالب رئيسية:

المطلب الأول: أهمية تماسك الأسرة

• من منظور الشريعة والفقه الإسلامي:

ينظر التشريع الإسلامي إلى الأسرة باعتبارها "الميثاق الغليظ" والكيان الأسمى الذي أراد الله له الاستمرار والاستقرار، وتتجلى أهمية تماسكها في المنظور الفقهي من خلال عدة ركائز استخلصها البحث:

1. تحقيق مقاصد الشريعة: يُعد تماسك الأسرة وسيلة جوهرية لتحقيق "حفظ النسل" و"حفظ العرض"، وهما من الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة لحمايتها وهي:

حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وبغيب أسرة متماسكة يضيع النسب وتختل منظومة القيم الأخلاقية.

2. إقامة حدود الله: يرى الفقهاء أن استقرار البيت هو البيئة الوحيدة التي تُمكن الزوجين من إقامة حدود الله في المعاملة، وأداء الحقوق والواجبات المتبادلة تعبدًا لله، مما يجعل التماسك الأسري شكلاً من أشكال العبادة الجماعية.

3. تجسيد قيم المودة والسكينة: ربطت الشريعة بين تماسك الأسرة وبين آيات الله في الكون، فجعلت "السكينة" هي الغاية النفسية، و"المودة والرحمة" هي الأداة العملية، مما يرفع العلاقة الزوجية من مجرد عقد قانوني إلى رابطة روحية مقدسة.

4. بناء المجتمع المسلم: يُقرر الفقه الإسلامي أن قوة المجتمع من قوة الأسرة؛ لذا أحاطت الشريعة هذا الكيان بسياج من الأحكام (منذ لحظة الاختيار وحتى أحكام الطلاق كحل أخير) لضمان بقائه متصلًا، حمايةً للمجتمع من التفكك والضياع.

• من منظور العلماء والمفكرين:

يجمع العلماء والمفكرون على أن الأسرة ليست مجرد تجمع بيولوجي أو وحدة اجتماعية عابرة، بل هي "اللبنة الأولى" في صرح الحضارة. وقد ركز البحث على رؤية المفكرين (أمثال ابن خلدون وغيره) الذين ربطوا بين قوة الدولة وتماسك نسيجها الأسري.

- منظور العلماء: يرى علماء الشريعة أن تماسك الأسرة مقصد شرعي ضروري يندرج تحت مقاصد حفظ النسل والعرض؛ فاستقرار الأسرة هو الضمانة الوحيدة لتنشئة جيل سوي يحمل القيم الدينية والأخلاقية.
- منظور المفكرين: يذهب المفكرون الاجتماعيون إلى أن تماسك الأسرة هو صمام الأمان ضد الانحرافات والجريمة؛ فكلما كانت الأسرة متماسكة، قلت التكاليف الاجتماعية والأمنية للدولة. إن التماسك في نظرهم هو "المناعة" التي تحمي المجتمع من التحلل والضياع في ظل صدمات العولمة.

بتقدم القيم على المادة.

4. فاعلية الحوار: فضل 86.7% من المستطلعين "الحوار اللطيف" كوسيلة وحيدة وناجحة لحل النزاعات، مع رفض قاطع للتدخلات الخارجية التي تضعف استقلال الأسرة.

5. الوازع الديني: أجمع 56.7% على أن غياب الرقابة الذاتية (الوازع الديني) هو المحرك الأساسي لحالات الطلاق والتفكك المعاصر.

الخاتمة والتوصيات

خلص البحث إلى أن تماسك الأسرة في الفقه الإسلامي ليس مجرد نصوص جامدة، بل هو منظومة حيوية تجمع بين "السكينة" الروحية والالتزام الأخلاقي والوعي الاجتماعي. وإن وصف الزوجة بـ "السكن" يلخص فلسفة الإسلام في جعل البيت واحة آمن، وهو ما أكدته النتائج الميدانية من ميل الناس نحو المودة والحوار.

أهم التوصيات:

1. التأهيل المُمنهج: إقرار برامج تدريبية إلزامية للمقبلين على الزواج تشمل الجوانب الفقهية، النفسية، ومهارات إدارة الميزانية.
 2. الإرشاد الوقائي: تأسيس وحدات استشارية أسرية في الأحياء تعتمد "المنهج الشرعي النفسي" لحل النزاعات قبل وصولها للقضاء.
 3. التوعية الإعلامية: تفعيل دور الإعلام في إبراز نماذج الأسر الناجحة، وتكريس مفهوم "السكينة" والمودة كبديل عن ثقافة الصراع الجاف.
 4. تعميق البحث الميداني: دعوة الباحثين لإجراء دراسات أوسع تشمل عينات أكبر لرصد أثر التحولات الرقمية على تماسك الأسرة المسلمة.
- ملاحظة: أعد هذا البحث كمتطلب لمقرر [فقه الأسرة]، تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور أيمن صالح، أستاذ الفقه وأصوله في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر (2025م).**



المطلب الثاني: الأسس الكبرى لتماسك الأسرة أولاً: العوامل المؤثرة في تماسك الأسرة قبل

الزواج (أسس البناء)

تعتبر مرحلة ما قبل الزواج هي مرحلة وضع حجر الأساس، ومن أهم عواملها في المنظور الفقهي والاجتماعي:

1. حُسن الاختيار (الدين والخلق): وهو المعيار الحاكم الذي يضمن وجود مرجعية أخلاقية عند الاختلاف.
2. الاستعداد النفسي والعاطفي: النضج الذي يسبق العقد؛ حيث أثبتت الدراسات أن غياب هذا الاستعداد يؤدي لنشوء "انفصال عاطفي" تعاني منه 38.5% من الزوجات.
3. الاستقرار المالي (الباءة): القدرة على النفقة توفر بيئة آمنة وتمنع النزاعات المادية؛ وتؤكد الدراسات أن 80% من الأسر المستقرة ماليًا تنعم باستقرار أسري مرتفع.
4. الرؤية الشرعية والحوار: وسيلة شرعية تضمن "السكينة" المبدئية والقبول النفسي الذي يمنع الصدمات بعد الزواج.

ثانياً: العوامل المؤثرة في تماسك الأسرة بعد

الزواج (أسس الاستدامة)

وهي العوامل التي تضمن استمرار الكيان وتنميته:

1. المودة والرحمة: وهما الركنان اللذان تقوم عليهما العلاقة الزوجية؛ فالمودة هي الوقود، والرحمة هي الملاذ عند جفاف العاطفة.
2. تحقيق "السكن" الزوجي: امتثالاً لقوله تعالى {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}؛ حيث تكون الزوجة سكنًا نفسيًا يمتص صخب الحياة، مما يحقق الهدوء الروحي للأسرة.
3. حُسن المعاشرة والتواصل الفعال: إدارة الخلافات بالحوار اللطيف والسرية التامة، وتجنب الهجر أو التصعيد الخارجي.
4. استقلال القرار الأسري والوازع الديني: حماية البيت من تدخلات الأقارب، واستحضار الرقابة الإلهية في أداء الحقوق والواجبات.

المطلب الثالث: نتائج الدراسات الميدانية

استند البحث إلى دراسة ميدانية (استبيان) عكست وعياً عالياً لدى المجتمع بأسس التماسك، وكانت أبرز النتائج كما يلي:

1. أولوية القيم: أقر 73.3% من المشاركين بأن "الدين والخلق" هما العنصر الأكثر حسماً في تماسك الأسرة.
2. أهمية الجاهزية: أكد 76.7% من العينة أن الاستعداد النفسي والعاطفي قبل الزواج هو ضرورة قصوى لمنع الانهيار اللاحق.
3. الرضا المالي: أظهرت النتائج أن المال عامل "مساعد" ومهم لكنه ليس العامل الوحيد، إذ حصل على أهمية "ممتازة" لدى 36.7% فقط، مما يعني وعي المجتمع